مجلة الناقد للدراسات السياسية | المجلد: 06/ العـدد: 02 (2022)، ص 44-70

أثر المقدس على الثورة التحريرية –الثورة الجزائرية من منظور الأنثروبولوجيا السياسية–

The influence of sacred on liberation revolution –The Algerian revolution -from political anthropology perspective

خداوي محمد

جامعة مولاي الطاهر –سعيدة (الجزائر)، kheddaouimed@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/07/24 تاريخ القبول: 2022/09/29 تاريخ النشر: 2022/10/10

ملخص:

يسعى المقال إلى تسليط الضوء على المقدس الذي رسم زمن انبثاق الدولة الوطنية في الجزائر وذلك بمحاولة استقصاء أثره على الثورة التحريرية 1954 من خلال دراسة نموذجين: الأول متعلق بالمصطلحات المتداولة خلال الثورة بين الأوساط الشعبية والثورية مثل "المجاهد" و"الشهيد"، والثاني مرتبط بتمظهرات المقدس في بعض الممارسات الثورية والتي لا توضح فقط الجوانب الإيجابية لتوظيفه في تغذية الشعلة الثورية وتقويتها، بل وتؤكد أيضا دوره المحوري في الالتحام الشعبي حول الثورة.

كلمات مفتاحية: المقدس–الثورة التحريرية–المجاهد–الشهيد–الممارسات الثورية.

Abstract:

The article look for sheding light on the sacred which was the base of the emergence of the national state in Algeria by traying to analyse its impact in the 1954 liberation revolution through the study of two models ; the first is related ti the terms spreaded during the revolution in popular and revolutionary circles, such as the « mujahid » and « martyr ». And the second is related to the manifestations of the sacred in some revolutionary practices which not anly clarifies the positive aspects of its use in feeding and strengthening the revolutionary flame, but also confirms its pivotal role in the popular rally around the revolution.

Keywords: Sacred-liberation revolution-mujahid-martyr-revolutionary practices

المؤلف المرسل: خداوي محمد، **الإيميل**: kheddaouimed@gmail.com

مقدمة:

تورطت الأنثروبولوجيا في الظاهرة الاستعمارية عموما وفي الجزائر على وجه الخصوص، إذ مثلت العقلانية الآداتية للاستعمار الفرنسي منذ أن وطئت أقدامه الجزائر. فقد تشابكت اهتمامات الأنثروبولوجيون مع الأهداف الاستعمارية من خلال دراسة الآخر وإنتاج خطاب إنساني حامل للرسالة حضارية الغربية للشعوب المتوحشة (المستعمرة) وهذا ما جعل الأنثروبولوجيا آنذاك علم استعمار بإمتياز.

لكن الشعب الجزائري الذي زادته الصدمة الكولونيالية وخطاب إيديولوجيو الاستعمار صلابة قاوم الاحتلال بكل الأشكال، بل وطور خطاب مضاد بنيت على أساسه الدولة الوطنية بعد الاستقلال. وقد اتخذت مقاومته التي لم تخمد شعلتها منذ 1830 شكلان أساسيان: الأول مثلته مقاومة سياسية قادتها أحزاب وطنية طيلة النصف الأول من القرن العشرين حملت لواء الخطاب السياسي الغربي الداعي للمشاركة في الانتخابات الأهلية الحياة السياسية لكن تعنت السلطات الاستعمارية التي اضطهدت هذه الأحزاب وضيقت عليها ولاحقت زعمائها أفشل جهودها. أما الشكل الثاني فمثلته مقاومة شعبية مسلحة استمرت طيلة الاحتلال الفرنسي وحملت خطاب مناقض تضرج بالمقدس وأثمرت الثورة التحريرية والتي ذابت في صفوف جبهتها غالبية مناضلي وقيادات الأحزاب الوطنية السالفة الذكر. لهذا وجب أن نتصالح مع الأنثروبولوجيا من بوابة المقدس كمفهوم من مفاهيم الأنثروبولوجيا الثقافية والذي سمح للأمة الجزائرية بخلق تمييز أو تضاد axiologique بين مختلف العناصر المكونة والممثلة لعالمها: الأشياء، الأفعال، الفضاء، القيم وغيرها. ونوظفها كعلم في هذه الدراسة التي تحاول محاورة المقدس والتعرف على دوره في الحقل السياسي إبان الثورة التحريرية.

أفرزت التجربة التاريخية للمجتمع الجزائري في التعامل مع الظاهرة الاستعمارية التي حاولت طمس هويته من خلال الكثير من الاستراتيجيات، ثقافة سياسية جذرية ومساواتية مضرجة بالمقدس الذي رسم زمان انبثاق الشعلة الوطنية في الجزائر، وقد دعمت ثورة التحرير 1954 هذه الرؤية الجذرية في التعامل مع الظاهرة الاستعمارية، جذرية أعطتها فيما بعد الدولة الوطنية طابعا ميتولوجيا. إذ أبانت أن العنف الثوري كفعل هو الوسيلة الوحيدة لاستئصال الاستعمار واسترجاع حقوق الأرض المسلوبة.

إن الفعل لا يكون مقدسا إلا إذا اقترن بدرجة من الإعلاء والترميز تحوله من فعل عادي إلى فعل خارق يشكل قطيعة مؤقتة مع المعيش محملا بدلالات ومعاني تدفع الممارسات الطقسية إلى أن تتمأسس في

واقع الأفراد ويكون المقدس من خلال ممارسته الطقسية سلطة وسيادة على واقع الإنسان وتمثلاته المعبرة عن تلك السلطة ويجسدها بالفعل (التجسيد المادي). وقد حولت الثورة التحريرية الفعل الثوري المقاوم إلى فعل مقدس وهذا ما يفسر زخم الثورة التحريرية واكتسابها لعظيم الاحترام والمواقف الموقرة من العدو قبل الصديق بالنظر إلى حجم التضحيات التي قدمها الشعب الجزائري في مواجهة إحدى قوى الحلف الأطلسي إلى درجة أصبحت معروفة لدى الكثير من الشعوب بثورة المليون ونصف شهيد وحلولها إلى شبه أسطورة استمرت بعد استقلال الجزائر التي تحولت إلى كعبة الثوار.

ورغم كثرة الكتابات والدراسات التي تناولت الثورة الجزائرية في بعدها الديني والروحي إلا أن المكانة والسمعة التي اكتسبتها جعلت الجزائر كعبة لثوار العالم في فترة من الفترات تبرر اهتمامنا المستمر بها كباحثين ويدعونا إلى إعادة محاورة المقدس فيها حوار مزدوجا. ينطلق من طرح الإشكالية التالية: ما مدى تأثير المقدس على الثورة الجزائرية؟

تتضمن هذه الإشكالية العديد من الأسئلة الفرعية حول الموضوع والتي يمكن طرح بعضها:

-ما هو المقدس؟
-ماذا نقصد بالمقاربة الأنثروبولوجية للثورة؟
-هل صوغ المقدس للثورة وأثر في تشكلها؟
-ما هي أشكال ذلك التأثير؟

للإجابة على هذه الأسئلة (وغيرها) المطروحة في إشكالية الموضوع يمكننا الإنطلاق من الفرضيتين التاليتين:

-الفرضية الأولى: بالنظر إلى محورية المقدس في الحياة المجتمعية بالجزائر فقد استحضر للعب نفس الدور في الثورة التحريرية وتغذية شعلتها.

-الفرضية الثانية: لم يكن المقدس حاضرا بقوة في الحقل السياسي الجزائري عموما وفي الثورة التحريرية.

وقصد تغطية إشكالية للموضوع والتأكد من مدى صحة أو خطأ الفرضيتين المطروحتين اخترنا تقسيم العمل إلى محورين أساسيين خصصنا الأول منهما للإطار المفاهيمي لكل من المقدس والثورة من منظور الأنثروبولوجيا السياسية. بينما حاولنا تناول تمظهرات المقدس في الثورة التحريرية من خلال استعراض وجيز

لدوره في المقاومة الشعبية والحفاظ على البناء الهوياتي الجزائري كمدخل لعرض بعض المصطلحات التي كانت متداولة في الوسط الثوري والشعبي والدالة على محورية المقدس وكذلك استعراض بعض الممارسات السياسية الثورية التي تزيد من تأكيد هذا الدور أو تنفيه. وبلوغ هذا الهدف وظفنا المنهج الوصفي التحليلي الذي لا يخلو من الجانب التاريخي طبعا.

أولا: الإطار المفاهيمي: المقدس والثورة، منظور أنثروبولوجي

اهتمت الدراسات في حقول العلوم الإنسانية والاجتماعية بموضوعي المقدس والثورة في المجتمعات وكان طبيعي أن تعنى الأنثروبولوجيا السياسية بدراسة هذان المفهومان ومدى الترابط بينها في الحقل السياسي، لذلك سنخصص هذا المحور الأول لتقديم عرض مفاهيمي موجز عنهما:

1–المقدس في الدراسات الأنثروبولوجية:

المقدس شيء مبارك يبعث في نفس الإنسان الشعور بالاحترام والهيبة كما أن المقدس لغويا يدل على المطهر فيكون الشيء أو المكان مقدسا أي مطهرا ومحاطا بهالة من الهيبة والاحترام. ويرتبط مصطلح المقدس (من مادة "قدس") في المعاجم العربية بمعنى التطهير والتنزيه والتبريك، وفي لسان العرب أشار "ابن منظور" في باب التقديس إلى دلالة تنزيه الله عز وجل، ويقال القدوس: فعول من القدس وهو الطهارة والتقديس والبركة.[1] وفي الصحاح القدس اسم ومصدر يعني الطهر، وروح القدس هو جبريل عليه السلام والتقديس هو التطهير.[2] ووردت لفظة التقديس في القرآن الكريم لتدل على أربعة معاني:

–أن التقديس حق الله: في قوله تعالى: " هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ.." (سورة الحشر: الآية23)

–وصف جبريل عليه السلام: في قوله تعالى: " **وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ**" (سورة البقرة: الآية 250)

–وصف الأرض التي أمر موسى قومه بدخولها بالمقدسة: في قوله تعالى: " يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ..." (سورة المائدة: الآية 22)

–وصف الوادي الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام بالواد المقدس: في قوله تعالى: " إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ.." (سورة طه: الآية 10)

أما في اللغات الأجنبية مثل الفرنسية فالمقدس Le sacré وفي الانجليزية sacred من أصل لاتيني Sacratus و sacer والفعل sancire والذي يعني تحديد والالغاء والنفي.

وكان مفهوم المقدس محط اهتمام الدراسات الأنثروبولوجية منذ بداياتها إذ حاولت فهم علاقة الإنسان البدائي بالمقدس والبنيوي وحاولت بناء شبكة معرفية لقراءة سبب ارتباط الفكر البشري بالمقدس وتمظهراته. وسجل الأنثروبولوجيون تماثل بين المجموعات البشرية البدائية ونظيراتها الثقافية في التعبيرات الكونية المرتبطة غالبا بدلالات رمزية تقدم تفسيرا للكون. كما سجلوا أن الممارسات الثقافية التي تتضمن المعرفة والمعتقدات والدين والأعراف والعادات تعبيرا عن المقدس بل وتتحول في قسم كبير منها إلى شكل من أشكال التماهي مع هذا المقدس بغية تحصين الحياة المهددة بمخاوف طبيعية كثيرة.

إن الفعل لا يكون مقدسا إلا إذا اقترن بدرجة من الإعلاء والترميز تحوله من فعل عادي إلى فعل خارق يشكل قطيعة مؤقتة مع المعيش محملا بدلالات ومعاني تدفع الممارسات الطقسية إلى أن تتمأسس في واقع الأفراد ويكون المقدس من خلال ممارسته الطقسية سلطة وسيادة على واقع الإنسان وتمثلاته المعبرة عن تلك السلطة ويجسدها بالفعل (التجسيد المادي). وعبر "روجيه دادون" Roger Dadoun عن ذلك عندما أشار إلى أن الحدود التي تفصل المقدس عن الدنيوي تقدم نفسها على أنها وصفية كما لو أنها حدود طبيعية–جغرافية إنها نوع من المسلمات: هنالك الدنيوي من جهة وهنالك المقدس من جهة أخرى، والخدعة تبدأ من هنا من كلمة هنالك.[3]

يجب الاعتراف بأن الإلمام بمفهوم المقدس مهمة صعبة لأنها محاطة بهالة لا تجل البحث فيه يقوم على نفس الأسس التي يقوم عليها البحث في مواضيع الفكر الأخرى لدرجة دفعت "ماكاريوس" Makarius إلى اعتبار البحث في المقدس إبطال لمفعوله إذ يعتبره شكلا من أشكال انتهاك ما هو محرم.[4] وتزداد صعوبة الإلمام بمفهومه بتعدد الحقول المعرفية التي تناولته مثل علم الأديان وعلم الاجتماع وعلم الأنثروبولوجيا وعلم النفس والأجناس وغيرها وتعدد وتنوع الثقافات واختلافها وتنوع التجارب التاريخية للمجتمعات، لهذا ما هو مقدس في مجتمع قد لا يكون كذلك في مجتمع آخر وما هو مدنس في احدهم قد لا يكون كذلك في مجتمع آخر، وهذا ما عبر عنه "روجيه كايو" عندما فسر الوصفة الوحيدة للمقدس التي يصح إثباتها بشكل عام متضمنة في تعريف هذه الكلمة بالذات ألا وهي تعارضه مع الدنيوي، لكن عندما نلح على توضيح طبيعة هذا التعارض وصيغه نواجه أخطر العقبات، إذ لا يوجد بين التعابير تعبير واحد مهما بلغت بساطته قابل

للتطبيق على تعقد الواقعات المتماهية مع المقدس، فما تثبت صحته من منظور معين تناقضه بشكل فاضح مجموعة من حقائق تنتظم تبعا لمنظور آخر، لذلك يرى "كايو" Roger Caillois أن الحل للإلمام بمفهوم المقدس يكمن في استعراض كل الدراسات التي تناولت العلاقة بين المقدس والدنيوي في كل مجتمع.[5] ومهما يكن من الأمر يمكن النظر إلى المقدس على أنه:

–هو كل ما لا يمكن إخضاعه للعقل والمنطق أي أنه كل ما يفارق ويتعالى على المجال الدنيوي بكل تبعاته ولواحقه وهذا ما ذهب إليه "ماكاريوس" Makarius وهو بذلك تورط في فضاء المقدس من حيث هو ما يعرف ولا يعرف أو يحدد. فإفتراض إبطال مفعول المقدس بالبحث فيه يحيل على تعريف معين له بوصفه ما ينتفي بحلول ما يعارضه ويغاير طبيعته وهذا ما ذهب إليه "أميل دوركايم" E. Durkheim.[6]

–التعريف الدوركايمي للمقدس: اعتبر "أ. دوركايم" مفهوم المقدس ذو أهمية بالغة في تفسير الظواهر الدينية غير المفهوم الأساسي لها، وحدد المقدس بما يعارضه تماما وهو المدنس Le profane فالمقدس لا يلتقي بالمدنس ويلامسه إلا لكي ينتفي أحدهما ويظل الآخر قائما ولذلك يتشكل كل طرف بوصفه نظاما خاصا ومتجانسا ومتعارضا وموازيا للطرف الآخر.[7] كما أن أعمال "دوركايم" تشير في معرض تناولها للمقدس إلى مفهومين للدين: الأول مرتبط بالشكل(1899عندما بدأ في الدراسة السوسيولوجية للدين) والآخر بالمضمون (1907 عند صدور مؤلفه الأشكال البدائية للحياة البشرية). فالأول يرتبط بإلزامية الاعتقاد والثاني بالمقدس.[8] لكن يجب أن نشير إلى أن ربط مفهوم المقدس بالمدنس ليست دائما دقيقا إذ يجب استعمال هذين المفهومين بالكثير من الحذر بالنظر إلى ذلك الاختلاف في السياقات الثقافية والتجارب التاريخية للمجتمعات.[9] ونظن أن ذلك ما دعى "ج. شلهود" Chelhod. J إلى اعتبار أن المقدس يعانق في الآن نفسه كلا من الطاهر والنجس (المدنس) في حين أن الدين يتوجه للقداسة.[10]

–ينظر إلى المقدس في تماهيه مع الإلهي أي أنه محكوم بمنطق الديني/ المقدس ويكون المقدس صفة مؤهلة تحدد كل ما هو مكرس للعبادة أو الألوهية أو كل شيء مرتبط بأي دين، ويرتبط هنا المفهوم بتقديم القرابين والأضحية وشعائر ومراسم التكريس. هذا التعريف بقدر ما يؤسس مفارقة المقدس للدنيوي المدنس بقدر ما يخلق متلازمة المقدس/ الديني يكون تجاوزها أو عدم احترامها أمر غير مقبول. فالمقدس محكوم انطلاقا من هذا المفهوم بمنطق ذات المجتمع الثقافي ومرجعيته الدينية، لكن ليس المقدس بالضرورة هو الإلهي بل قد يكون إحدى تعبيراته أو تجلياته والمقدس ليس رديفا للإلهي فجدلية المقدس تتحول من جدلية مفارقة

إلى جدلية معيشة كما يقول "وينربرجر" Wunerburger.[11] وإذا كان المقدس يتحول إلى هذه الصفة الدنيوية فإن ذلك يؤكد ما ذهب إليه "ميرسيا. إلياد" Mircea Eliade انطلاقا من تصوره للمقدس من حيث هو تجلي لثنائية تصور إنسان المجتمعات التقليدية العالم: عالم منظم ومقدس وعالم تسوده الفوضى والعماء أين تكون إمكانية العبور من الدنيوي إلى المقدس والعكس حاضرة على الدوام بفضل الجسر الطقوسي، إذ تسمح الطقوس بفعل العبور بين الحدين لأنها تحين الزمن الأصلي الميثي بوصفه الزمن المؤسس للأزمنة الوجودية والتاريخية.[12]

-يرى الباحث "محمد سعيدي" أن المقدس هو الله، هو الطهارة، هو البركة، هو التنزيه، إنه لا يخرج عن الفضاء الديني الذي يشكل منبعه ومنشأه الأول والأصلي والأصيل بإمتياز وفيه تتجلى الذات الإلهية. فقد يتجلى الله في كل ممارسة مقدسة طقوسية يقوم بها أو يؤديها الإنسان المتدين كما قد يتجلى الله في المكان المقدس وفي الزمان المقدس، كما قد يتجلى بالنسبة للإنسان المؤمن في الأشياء وفي النباتات المقدسة وفي الحيوانات وفي الطبيعة والأنهار والوديان والجبال والحجارة.[13]

2-**الثورة: والأنثروبولوجيا**: يعتبر الباحثون مفهوم الثورة من أكثر المفاهيم المطاطية التي يصعب تحديد معالمها لذلك كان محط اهتمام حقول معرفية عدة مثل علم السياسة والاجتماع والفلسفة والأنثروبولوجيا وغيرها وأنتج هذا الاهتمام تراكما معرفيا هاما حول مفهومها.

الثورة لغة من ثور : ثار الشيء ثورا وثؤورا وثورانا في مفهوم: هاج،[14] والملاحظ أن تعريف الثورة لم يرد عند العرب بالمعنى المتعارف عليه حديثا الذي يحمل دلالة سياسية واجتماعية إذ تقصد التغيير الجذري بالتمرد والانقلاب وتغيير النظام السائد في المجتمع، فهي لم تخرج عن معنى الهيجان والوثوب والسطوع. وورد في المصباح المنير مصطلح ثار الغبار: تورا وتؤورا على وزن فعول وثورانا هاج ومنه قيل للفتنة "ثارت" ونقول ثار الغضب واحتد وثار إلى الشر أي نهض له وأثاروا الأرض أي عمرها بالفلاحة. فهي في المعاجم العربية تشير إلى فعل يتضمن طابع الفجائية والحركة والسرعة ويؤدي في الوقت ذاته إلى حالة من الفوضى والتغير في طبيعة الأشياء، فالثورة في التراث العربي القديم رغم تنوع معناها وتعدده لم تخرج عن معنى الهيجان والوثوب والسطوع وصيغت من فعل ثار يثور ثورة وهي ترمز في الأصل إلى شدة الغضب والاندفاع العنيف: ثار أي هاج، ومنه نقول ثارت ثائرته أي فقد السيطرة على أعصابه وأفعاله. وعليه إن مفهوم الثورة بمضمونه الحديث لم يرد في التاريخ العربي الإسلامي والحركات التي عرفها كانت تصنف في خانة التمرد على الخلافة والخروج عن السلطان وفتنة ضد ولي الأمر [15]

ويقصد بالثورة في المصطلح اللاتيني Révolution المقابل للكلمة في اللغة العربية هو الحركة الدائرية للنجوم، وهي لا تشير إلى العنف بقدر ما تشير إلى حركة دائرية متكررة لا دخل للبشر فيها.[16] وفي اللغات الأجنبية (الفرنسية والإنجليزية) فكلمة révolution مصطلح لاتيني أول من استعمله كان "بوليبوس" Polybius (200ق.م-20 ق.م) لكنه برز أكثر مع "نيكولاس كوبرنيكوس" Nicolas Copernicus في كتابه "ثورة الأجرام الفلكية"، ووردت في معنى كون الشمس هي مركز المجموعة الشمسية وليس الأرض كما كان يعتقد من قبل وأن هذه الأخيرة هي التي تدور حول الأرض وكانت هذه النظرية الفلكية فعلا ثورة علمية. استخدمت الكلمة لأول مرة في دلالتها السياسية في القرن السابع عشر ميلادي لوصف ما يحدث بين البشر وبالتحديد سنة 1660 بعد الإطاحة بالبرلمان الرديف وإعادة الملكية وأعيد استخدامها سنة 1688 عند طرد أسرة "ستيورات" وأطلق عليها الثورة المجيدة. ثم استخدمت الكلمة في 1789 عندما ثار الشعب ضد الملك لويس السادس عشر الذي قال "هذا تمرد" فرد عليه حامل الأنباء إليه بسقوط الباستيل: "كلا يا صاحب الجلالة إنها الثورة". وتعني كلمة الثورة عند الغرب التغيير الجذري في أوضاع المجتمع لا تتبع فيه الإجراءات الدستورية والقانونية المعمول بها ويكون هدفها تغيير النظام السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي، وقد يكون ذلك التغيير دون عنف ويؤدي بمعنى ما مفهوم الثورة كأن نقول: الثورة الصناعية، الثورة الزراعية، الثورة الثقافية الثورة التكنولوجية، الثورة المعلوماتية.[17]

يصعب تقديم مفهوم اصطلاحي للثورة يحيط بجميع المعاني والدلالات القديمة والحديثة له شأنه في ذلك شأن الكثير من المفاهيم الاجتماعية التي لا تمتاز بالثبات والجمود بالنظر إلى الحركية التطورية للبشر من جهة ومن جهة ثانية بالنظر إلى إقترابات المفكرين منه. لكننا يمكن أن نعرف الثورة على أنها أحد أساليب التغير الاجتماعي الذي يشمل كل البنى الأساسية الاجتماعية منها والاقتصادية والسياسية والثقافية ولا تخضع في نشوبها إلى الإجراءات القانونية المعمول بها في النظام الدستوري السائد في الدولة وتتسم بالطابع الجذري والشمولي. وتورد موسوعة علم الاجتماع أن الثورة هي التغيرات الجذرية في البنى المؤسسية للمجتمع والهادفة إلى تبديل المجتمع ظاهريا وجوهريا والانتقال به من نمط سائد إلى نمط جديد يتوافق مع مبادئ وقيم وإيديولوجية وأهداف تلك الثورة، وتكون الثورة إما عنيفة ودموية أو تكون سلمية، وتكون فجائية سريعة أو بطيئة تدريجية.[18] ويعرفها "عزمي بشارة" على أنها تحرك شعبي واسع خارج البيئة الدستورية القائمة وخارج الشرعية هدفه تغيير نظام الحكم القائم في الدولة.[19]

ومن المنظور الماركسي يصف "كرين برينتن" Crane Brinton كلمة الثورة بالغموض وزئبقية في تحديد قائمة الأحداث والأفعال المرتبطة بها وينظر إليها على أنها عملية حركية دينامية تتميز بالانتقال من

بنيان اجتماعي إلى بنيان اجتماعي آخر، وهذا التميز قائم على الاستبدال المفاجئ والعنيف للفئة الحاكمة بفئة أخرى لم يكن لها نصيب آنذاك من إدارة الدولة والحكم، وذلك عن طريق انتفاضة عنيفة أو انقلاب أو عصيان مسلح أو نوع آخر من الخيانة فهي تغيير في الحكومة القائمة يتجاوز الحد القانوني.[20]

ويمكن تناول مفهوم الثورة من منظورين: منظور سياسي اجتماعي إذ تكون الحدث الذي يشهد تغيرات كبيرة ومفاجئة قد تصل حالة العنف لو وصلت للسلم الحكومي. أما من منظور كونها مقياس فهي تعبر عن مدى التغيرات التي تعرفها مناحي الحياة كأن نقول بالثورة الصناعية، الثورة المعلوماتية، الثورة التكنولوجية، الثورة البلشفية... وتكون بذلك كل فعل يؤدي إلى تغير الأوضاع تغيرا جذريا سواء كانت ذات طبيعة أو سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية.

وكان طبيعي أن يهتم علماء الأنثروبولوجيا بدراسة الثورة وبالتحديد الأنثروبولوجيا السياسية التي تعتبر علم السياسي بالنظر إلى التغيرات التي يحدثها الحدث الثوري في حد ذاته والآليات التي يوظفها ويربط معها قنوات والآثار التي يخلفها على مختلف البنى الاجتماعية. فعلى سبيل المثال يتساءل "كلود. ريفيير" Claude Rivière عن الرابط بين الوطنية وبين أشكال الانخراط الديني بما في ذلك الروابط بين المطالب المرتبطة بالهوية السياسية والحرية الدينية، ويورد مثال هولندا التي تزامنت فيها الانتفاضة ضد السيطرة الاسبانية مع حركة الأصالة الدينية الكالفينية، وفي أمريكا الشمالية مثل الغرب المتوحش حيث الأرض الموعودة (قدس جديدة) حيث شكلت المرجعية الإنجيلية الأساس الأيديولوجي للأمة الأمريكية.[21] وبعد الحركات الشعبية التي ثارت في أوكرانيا ومقاطعات أخرى من الاتحاد السوفيتي سابقا وبعد ثورات الربيع العربي برز توجه أنثروبولوجي/سياسي جديد أسس لأنثروبولوجيا الثورة.

تحاول انثروبولوجيا الثورة استكشاف الثقافات السياسية من خلال مظاهرها الأثنوغرافية المتنوعة كما تركز بحثها على التأسيس لشبكة قراءة للآمال والأحلام والمخاوف والمخاطر التي تصاحب أنماط الحكم المختلفة والتجارب السياسية الناشئة في جميع أنحاء العالم. وتهتم بدارسة المفاهيم والممارسات اليومية للسلطة والعنف الاجتماعي والانتخابي والشرعية والأمن وديمقراطية الدولة بشكل عام وتركز على استقراء الخطاب والممارسة الثورية وتعالج البنى الثقافية واللغوية وبقائها. ويزداد اهتمام الباحثين الأنثروبولوجيين منذ عقدية من الزمن بسبب ما يسميه البعض مد ثوري شعبي وآخرون حراك اجتماعي وسياسي (مثل "الربيع العربي") مثل "لوسيا ميشيلوتي" L. Michiloti منسقة البرنامج البحثي الدولي "الثقافات الديمقراطية"، كذلك يقوم

الأنثروبولوجي "أليكس بيلنيجري" Alex.B ببحث في المجتمع الكردي المقيم بشمال لندن. ويدرس "أليكس" العنف والسيطرة والعدوان البشري في الوسط الكردي. في حين يعمل الأنثروبولوجي "مارتن هولبراد" Martin Holprad على مشروع "صنع الذات وصنع الثورات في الأنثروبولوجيا المقارنة للسياسة الثورية" ويعتمد المشروع على اثنوغرافيا بلدان من الشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية في تقديم دراسة أنثروبولوجية للرابط بين الممارسات الثورية والدينية للتأثير على المدلولات الحالية للثورة وفن الحكم والذاتية في النظرية السياسية.

ولما كان الديني أهم تجليات المقدس فإن علاقته بالثورة على الأقل في مفهومها كحركة تغيير كثيرا ما تتلاقى طرقهما، ويصور لنا "أ. دوركايم" من خلال تناوله للأشكال النموذجية للحياة البدائية ذلك حيث أسر بأن المؤسسات الاجتماعية الكبرى نشأت تقريبا من الدين داعيا إلى أن نجد في هذا الأخير التعبير المختصر للحياة الجماعية بأسرها. ولما كانت الثورات التحريرية التي عرفها القرن العشرين في المجتمعات المستعمرة والمصنفة على أنها تقليدية تهدف إلى التغيير بإقامة مؤسسات اجتماعية تعبر عن الحياة الاجتماعية كان طبيعي أن تغلف بالهالة المقدسة. وكذلك فعل "ماكس فيبر" Max Weber في تناوله للأخلاق البروتستانتية حيث سعى إلى استخلاص الروابط بين الهيكليات الأخلاقية والدينية الكبيرة المرتبطة بكل نموذج علاقة اجتماعية معروفة تاريخيا وفي ذلك إشارة للعلاقة بين النموذج الاقتصادي الرأسمالي والديانة البروتستانتية.

كما يرتبط المقدس/ الديني بالسياسي من خلال صورة المجتمعات التقليدية أين يضفي المقدس القوة والشرعية ويستخدمه الحاكم/ النخبة/ الدولة ليدعم بنائها السلطوي مثل تقديم ملك المغرب نفسه على أنه من النسل النبوي الشريف (شخص مقدس) ويغدق على نفسه لقب أمير المؤمنين، أو ملك السعودية الذي يقدم نفسه على أنه خادم الحرمين الشريفين (أماكن مقدسة) أو اللجوء إلى تقريب رجال الدين من السلطة الحاكمة. وعلى قاعدة المقدس بنى الكيان الصهيوني دولته مغتصبا أرض الفلسطينيين بل وأسماها إسرائيل. فالسياق التاريخي للمجتمعات يجسد لنا الشراكة بين المقدس والمؤسسات السياسية لكون أن المقدس يلعب دورا فعالا كقوة محافظة، لكن أيضا يجب أن نشير إلى أنه في بعض الحالات تتوازى حركات التغيير الاجتماعي والسياسي مع حركات وصحوات دينية، وهذا ما يدفعنا إلى القول أن السياسي والمقدس مترابطان تاريخيا.

تسعى كل سلطة إلى اكتساب قدسية للتأسيس لشرعيتها وبالتالي الاستمرار في ممارستها تسعى من خلال المؤسسات إلى الحفاظ على بقائها.

ثانيا: وقع المقدس في الثورة الجزائرية:

تبين لنا من خلال المحور الأول الذي تناولنا فيه مفهومي المقدس والثورة من منظور الأنثروبولوجيا السياسية العلاقة الوطيدة التي ترقى للشراكة بينهما في جل المجتمعات الإنسانية وهذا ما تؤكده السياقات التاريخية لها والتي عرضنا بعض الأمثلة منها. ومن المفروض أن المجتمع الجزائري لا يخرج عن هذه القاعدة، وهذا ما سنبحث فيه في هذا المحور الثاني على أن نبدأ بإستعراض وقع المقدس في المقاومة الشعبية التي لم تخمد منذ أن وطأ الاستعمار الأرض الجزائرية ، ولكن الأهم لكونها تمثل التراكم الخبراتي التاريخي لثورة الفاتح من نوفمبر. إذ سنتناول بالدراسة نموذجين يوضحان حسبنا وقع المقدس على الثورة التحريرية الأول لغوي مرتبط بالمصطلحات ذات المدلول التقديسي والثاني متعلق بتمظهرات الأثر في الممارسات السياسية الثورية.

1-محورية المقدس في المقاومة الشعبية:

إن المكان يمثل مجالا حياتيا حافلا بدلالات وممارسات ثقافية ودينية واجتماعية واقتصادية أحاطت به في الزمان، وفي هذه الحالة تكون العودة إلى التاريخ مسعى لا يمكن تجاوزه عند قياس مدلول الممارسات المهيكلة للمكان وقدسيته، إنه تفاعل الإنسان مع مجاله الحياتي الذي اغتصبه الاستعمار الفرنسي من الجزائريين، وقد كان هذا المجال اجتماعيا يقوم على البناء القبلي بقيمه وعاداته وتقاليده التي يقدسها، واقتصاديا يرتكز على الملكية العقارية التي عمل الاستعمار على ضرب قاعدتها الزراعية المجسدة في أراضي العرش وبالتالي ضرب تواجده المادي عن طريق تغيير الطابع العرفي للملكية (وهذا في حد ذاته ليس سيئا لو لم تكن للاستعمار أهداف أخرى من وراء ذلك) وإخضاعه لجملة من القوانين الزراعية مثل قانون "سناتوس-كونسولت" وقانون "وارنيه". لقد كان الهدف الاستراتيجي من هذا التغيير هو تقليص القاعدة المادية للجماعات الريفية وقود المقاومة وإفقارها لإخضاعها.

منذ السنوات الأولى لاحتلال الجزائر طور الاستعمار خطابا مزدوجا اتجاه المقدس عند المجتمع الجزائري حيث سجل أنثروبولوجيو الاستعمار الحضور البارز للمادة الدينية والاجتماعية عنده، فمن جهة برز خطاب أنثروبولوجي متمركز على ذاته يحمل إستراتيجيات كولونيالية الهادفة إلى ضرب البنى الثقافية -في مفهومها العام- لكونها مصدر مقاومة وراء محاولة لإجتثات الكيان الثقافي (خصوصا الدين واللغة) للمجتمع الجزائري وأبان عن إستراتيجية هدفها الأساسي وليس الوحيد هو خلق حركة إستغراب،[22] لا تلبث أن تتحول إلى حركة تغريب وتقليد للأنماط الغربية في التفكير والسلوك والمنهج، فقد عمل الاستعمار على الإفقار الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع الجزائري من خلال أعمال تهديمية كبرى للشخصية والهوية الجزائرية إذ استولى على الأوقاف الإسلامية وحول مساجد إلى كنائس وأغلق المدارس والزوايا وشرد علماء الدين واضطهدهم وهمشهم

عن الشعب[23] ومنع استعمال اللغة العربية والممارسات الدينية وأسهم في "دروشة" بعض الزوايا لتسهيل ذوبان البعد الديني الحقيقي. ومن جهة ثانية تبنى إستراتيجية نشر الثقافة الفرنسية وحاول فرض القانون المدني الفرنسي[24] وعمل على تفكيك الثقافة الوطنية بمبرر الرسالة الحضارية الغربية التي يحملها إلى المجتمع الجزائري التقليدي وكثف من حملات التبشير المسيحي (ش. لافيجري Charles Lavigerie و ش. دو فوكو Charles de Foucauld) علما أن نسبة الأمية في الجزائر كانت قبل 1830 تكاد تكون منعدمة في المدن والأرياف على حد سواء بالنظر إلى انتشار المدارس وحرية التعليم ووفرة الوسائل مثل المداخيل الوقفية ومكانة المعلم والمتعلم.[25]

إن الصدمة الكولونيالية المحملة بالعنف في الممارسات الاستعمارية لإلغاء كل ما هو وطني ومقدس عند الجزائريين ومحاولة المستعمر غرس ثقافته وتراثه وقيمه في المجتمع الجزائري بالقوة تحت غطاء نشر الحضارة الغربية المتفوقة، ما كان إلا أن تلقى مقاومة ضارية من المجتمع الجزائري الذي أبان عن الحضور التاريخي للمقدس في المقاومة الشعبية للاستعمار الفرنسي، مقاومة تنتج الهوية والاقتصاد والرباط الاجتماعي ولكنها في نفس الوقت تشجع أيضا كتابة التاريخ، إنها إعادة لتأويل الذاكرة المجتمعية المشتركة، وهذا ما قد يفسر فرضية وجود مخيال للحرب مشترك للمجتمع الجزائري يساهم في جعل العنف وسيلة المستعمر لاكتساب الشرعية، ويؤكد مكانة بناء أعيد التأسيس له في فضيلة الجهاد أثناء الفتوحات الإسلامية، فصارعت الجزائر التاريخ الاستعماري وأعادت إنتاج مجتمعها الذي يعاد ابتداعه في تراث الجهاد. ولعل ما يصور الجانب الثقافي لهذا المخيال هو تلك النظرة المشوبة بالقداسة لدولة الأمير عبد القادر الجزائري والمقاومة الشعبية أو لحرب التحرير الوطني، ففي هذا المخيال يتحول العدو إلى كافر والحرب إلى جهاد، والقتيل إلى شهيد موعده الجنة.

فعلى وقع المقدس أسس الأمير عبد القادر ابن محي الدين المقاوم للاستعمار الفرنسي الدول الجزائرية الحديثة التي كان محورها البعد الديني والروحي إذ نستحضر في هذا المقام مبايعته من قبل الأعيان الذين اجتمعوا بوادي فروحة بسهل غريس في معسكر تحت شجرة الدردارة بداية من والده محي الدين في 1832 والذي لقبه بناصر الدين. ونسجل هنا تجليات المقدس سواء في الممارسة من خلال البيعة (استحضار لبيعة الرسول صلى الله عليه وسلم) وحتى اللقب الذي أطلق عليه. فالمبايعة والجهاد والمظهر الإنساني للأمير عبد القادر وصورته المعرفية حولت تفكيره من أمير جهاد إلى مفكر سياسي. ويبرز الأمر بأكثر جلاء إذ عدنا لنص البيعة التي ورد فيها "... بعد انعقاد البيعة للإمام الأعظم والأمير الجليل المفخم، ابن أخينا السيد عبد

القادر بن محي الدين، أحيا الله بهما الدين، بايعناه على...." وتبرز في هذا النص العناصر المشكلة للمقدس كمحطات عبور للذات الوطنية وإعادتها لحالة التوازن ويتأكد في نص البيعة العامة في 04 فيفري 1833 أن المقدس لا حدود له فهو حاضر دوما وأبدا في المجتمع الجزائري،[26] من خلال الرجاء والتحصن بجاه الرسول بعودة البلاد المستعمرة لدار الإسلام والتي ورد فيها: "... بعدما انقرضت الحكومة الجزائرية من سائر بلاد المغرب الأوسط واستولى العدو على مدينتي الجزائر ووهران، أعادهما الله دار إيمان وإسلام بجاه النبي عليه السلام...".[27]

كما اشتعلت مقاومة عنيفة في التل والصحراء منها ثورة الشيخ أحمد بوزيان بواحة الزعاطشة الذي بدأ دعوته للجهاد منذ شهر ماي 1849 كاستمرار لثورة الأمير عبد القادر وكان تابعا له وممثله في الواحة بهدف إخراج الاستعمار من الجزائر وهذا ما أبانت عنه الرسائل التي كانت تحمل ختمه الخاص[28] ونستحضر في هذا المقام قصة سعي الاستعمار الفرنسي للقبض على الشيخ بوزيان الذي وجدته في وسط قرية الزعاطشة وأمر بأن يركب بغلة للذهاب به إلى مقر القيادة وامتثل وفجأة مزق خيط سبحته (رمز تدين الشيخ وتجلي لمكانة المقدس) فتناثرت حباتها على الأرض فنزل يتظاهر بجمعها لربح وقت يسمح لأنصاره بالاستعداد للمواجهة.[29]

ونسجل الدلالات الأنثروبولوجية في مقاومة الشيخ مقراني وحداد إذ كان لمبالغة السلطات الفرنسية في التضييق على الشيخ محمد المقراني (الباشاغا) الذي تألم كثيرا للحملات التبشيرية للافرجي Laverger والإقلال من مركزه وامتيازاته والتضييق على أعوانه وأرغمته سنة 1862 على إلغاء نظام التويزة (تقليد تعاوني ترسخ في الأوساط الجزائرية لعصور وله دلالات أنثروبولوجية) الذي اعتاد عليه أجداده وغضب من ذلك رغم امتثاله للأمر وقد تزامن ذلك مع تأسيس زاوية الحداد التي ربطتها علاقات بالزاوية الرحمانية وذاع صيت شيخها الحداد الذي كان يلجأ له العلماء والفقهاء، وبتوافر الظروف أعلن المقراني في 14 مارس 1871 أن الوقت قد حان لمقاومة حكومة اليهود.[30]

وانطلاقا من تعريف "كانط" للمقدس في كتابه "الدين في حدود العقل" أين عرف الدين على أنه الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية،[31] أعلن الشيخ بوعمامة الثورة ضد الاستعمار كواجب مقدس بين سنة 1881 و 1908 ونكتفي في هذا المقام بالاستشهاد بالرسائل التي كان يرسلها المقراني لتبيان محورية المقدس، منها تلك التي كتبها بأمر من بوعمامة أبو طالب بن الهاشمي باش عادل بالدراقة

والتي ورد فيها: "الحمد لله وحده وصلي الله على سيدنا محمد وآله إلى جماعتنا المحروسة بعين الرضى كافة جماعة الشعابنة... نريد قدومكم وتتلاقوا على أمر الجهاد في سبيل الله..."[32] ويبرز هنا المقدس في تماهيه مع الإلهي أي أنه محكوم بمنطق الديني/ المقدس ويكون المقدس صفة مؤهلة تحدد كل ما هو مكرس للعبادة أو الألوهية من خلال التطابق بين فكرة الجهاد في سبيل الله وفكرة الدفاع عن الوطن ضد المغتصب.

إن تناول محورية المقدس في المقاومة الشعبية وإن كان بصورة مختصرة جدا يبرز كون المطلب الثقافي بابا بأتم معنى الكلمة ولج منه المجتمع المحلي الجزائري معترك الحياة السياسية الحديثة وكان وسيلة تعبيره عن رفضه للسلطة الاستعمارية وشكل مع مجموعة المعتقدات والأعراف والتقاليد القبلية المحدد الثقافي للدور السياسي والعسكري الذي احتضنته التكوينات الاجتماعية الأولية في الجزائر بعد اندلاع الثورة التحريرية في نوفمبر 1954 التي كانت محصلة تفاعل الخبرة التاريخية والوضع الجغرافي والمعتقدات الدينية والظروف الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الجزائر.

2–المصطلحات المتداولة أثناء الثورة:

اهتمت الأنثروبولوجيا باللغة نظرا لكونها من بين أعظم انجازات المجتمع البشري وترتبط بمختلف الحقول المعرفية التي طورها فهي عمل فسيولوجي وتدفع عدادا من أعضاء الجسم إلى العمل وهي ظاهرة اجتماعية لكونها وسيلة تواصل بين البشر وهي حقيقة تاريخية لامتدادها في تاريخ البشرية وتعبيرها عن السياقات التي مرت بها.[33]

لهذا اهتمت الأنثروبولوجيا الثقافية بدراسة الثقافة وعناصرها المادية والمعنوية المختلفة وهي بذلك تشمل الدراسة العلمية للغة والدين والقيم والمعايير والعادات والتقاليد والمعتقدات دراسة أنثروبولوجية بوصفها تمثل الجوانب المعنوية للثقافة ونسجل هنا أن اللغة تمثل أهم العناصر المكونة للثقافة لكونها أداة تسجيل الثقافة ونقلها عبر الأجيال ما يجعل العلاقة بينها وبين الثقافة والمجتمع علاقة وثيقة انطلاقا من كونها الوعاء الذي ينقل لنا فكر لأنها أداة التعبير ووسيلة الاتصال والتواتر،[34] والقول بذلك يعني أن اللغة تمثل السجل الصادق لحياة وتاريخ المجتمع وبالتحديد مجال المقدس فيه من خلال مفهوم التجلي وإعلان أشكال التواصل القائمة بين المقدس والدنيوي في موضوعنا. فاللغة تنقل لنا من خلال الكلمات (المصطلحات) أشكال التعبير للرمزية الدينية والتجليات الموضوعية للمقدس وهذا ما قد يبرر تعريف "روجيه كايوا" Roger Caillois للمقدس بوصفه مقولة من مقولات الحساسية ويبقى مصدر كل سؤدد وحظوة ولا مندوحة لمن يصبو إلى تحقيق النجاح واكتساب الفضائل من التماس مؤازرته بتكريسه بالعطية أو الكلمة المتناقلة.[35]

إن رمزية اللغة التي تنقلها لنا مصطلحاتها المتداولة تزداد ارتباطا بالمقدس في المجتمع العربي عموما والمجتمع الجزائري على وجه الخصوص بالنظر إلى أن اللغة العربية تستمد البعض من القدسية من كونها لغة القرآن الكريم تصديقا لقوله عز وجل في التنزيل الحكيم: "إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"(36)

وهذا ما يجعل المصطلحات تشكل أحد المداخل التي تمكن من دراسة أثر المقدس على الثورة التحريرية إذ أن المصطلحات حسب الأنثروبولوجيون تدل على المنزلة الاجتماعية وتعكس طبيعة البناء الاجتماعي والدال الثقافي له وتكشف العلاقة المتجذرة بين المقدس والحياة الاجتماعية والسياسية، فالمصطلح المتداول أو المخلوع على شخص بعينه لا يجسد فقط تمسك المجتمع بالمقدس بل ويحدد طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة *من خلال تصويرها لسلم التراتبي المعمول به بين أفراد الجماعة والمتمظهر حول سلوكات الأفراد اتجاه بعضهم واتجاه العدو الذي يمثله الاستعمار الفرنسي.*

وقد تداولت الأوساط الثورية والشعبية في الجزائر على حد سواء مجموعة من المصطلحات التي ترسخت في الوجدان الجماعي وشكلت جزء من التطور الذي عرفته البنيات الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري إبان الثورة وبعد الاستقلال لتصبح قيم اسمية ثابتة بتداولها الجزائريين موسعين دائرتها الأصلية المطبوعة بأثر المقدس، وأكثر من ذلك كانت تمد للشعلة الثورية بطاقة معنوية مقدسة شكلت الفرق بين جيش التحرير بسيط العتاد وقليل العدد بالمقارنة بجيش الاستعمار الفرنسي المنظم والمزود بالأسلحة المتطورة والطيران. لهذا يمكننا أن نقول أن الثورة التحريرية الجزائرية كانت مقدسة لأنها كانت دفاعا عن الوطن والدين والمجتمع على حد سواء. ويجب أن نؤكد على أن هذه المصطلحات عبرت عن عمق البعد المقدس والديني في التحضير وإعلان وتطور الثورة التحريرية وكانت أداتها الفعالة لتعبئة وحشد تأييد الشعب لها، ونستأنس فيما يلي بالبعض منها:

–الجهاد: مثل أهم المصطلحات المبلورة لثورة التحرير ويصور حقيقة أثر المقدس عليها وفيها، فمفجروا الثورة لم يستعملوا مصطلحات مثل المقاومة أو الحرب أو التحرير بالنظر إلى افتقارها للصبغة الروحية المتجذرة في المجتمع والتي تستطيع تحريكه، فكان الاستعمال السياسي لواجب شرعي على المسلمين يمثله الجهاد. وكلمة الجهاد في اللغة العربية من الجهد بالضم وتعني الطاقة ومن الجهد بالفتح فنقول أجهد جهدك في هذا الأمر أي ابلغ غايتك. والجهاد الأرض المستوية وقيل الغليظة فيقال أرض جهاد، ويقال جهد الرجل فهو مجهود أي وجد مشقة.(37) وجاهد مجاهدة وجهادا أي قاتل في سبيل الله. وقد نشأ الجزائري وترعرع على سماع تردد هذه الكلمة وما أعده الله للمجاهدين من أجر وعلو منزلة وكرامة(38) وسبق أن أشرنا إلى أهميتها أعلاه عند تعرضنا للمقاومة الشعبية من خلال نموذج صورة رسالة الشيخ بوعمامة. ومع ما يعيشه المجتمع

الجزائري من بؤس وفقر وجهل ومرض ناجم عن استعمار غاشم، الذي مع الثورة أصبح يثمن أكثر البعد الديني لها ويرفع مقام المجاهدين امتثالا لقوله تعالى: **" لَّا يَسْتَوِي الْقَعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا".**[39]

إن الدفاع عن الوطن المغتصب بالنسبة للجزائري واجبا دينيا واستقلال الجزائر الذي لا يتأتى إلا بالجهاد الذي يعتبر أهم ركائز الدين الإسلامي، وإذا قمنا بمحاورة مضمون كلمة الجهاد عند الشعب الجزائري إبان الثورة حوار مزدوجا لتبين لنا أولا أن الجزائري فهم ووعى الكلمة لأنها متضمنة في تعريف اللفظ بالذات والمتمثل في تعارضه مع الدنيوي، فالمجاهد الجزائري يبتغي الاستشهاد (الموت) ولا يرضى في المقابل إلا باستقلال الجزائر، استقلال يحفظ تمايز مجتمع جزائري أهم سماته التمسك بالدين الإسلامي والعادات والتقاليد العربية الإسلامية التي حاول الاستعمار من خلال استراتيجياته إجتثاثها وتعويضها بالثقافة الغربية. أما الجانب الثاني من الحوار فهو مأخوذ من رؤية "رودولف أوتو" Rudolf Otto الذي تناول المقدس من الناحية الذاتية لدى الفاعل بحيث عالج الشعور بالمقدس،[40] فيؤكد استبطان الثورة الجزائرية لروحها من الدين الإسلامي بحيث تجعل الجزائري يشعر بواجب الجهاد كإلتزام ديني لكنه في نفس الوقت يمثل عطاء أي كانت النتيجة بالنسبة له، فإن مات فهو شهيد وعطاءه الجنة مصدقا للتنزيل الحكيم: **"وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ"([41]) وإن بقي حيا فسيعيش في كنف الجزائر المستقلة.**

وحتى وإن لم يستعمل مصطلح الجهاد في بيان أول نوفمبر الذي يمثل الوثيقة الأساسية للثورة التحريرية إلا أن اللافت للانتباه أن مفهومي: الجهاد والوطنية فيه من المفاهيم المتداخلة في الثورة الجزائرية والمضمرة في ذات الشعب الجزائري، وقد عبر عن ذلك بيان أول نوفمبر من خلال احتكامه لمبدأ السلم كعقيدة متجذرة في الإسلام. كما ركز على مبدأ الوحدة نظرا لمكانتها في المجتمع المسلم. لكنها عبرت عنه صراحة من خلال جريدة المقاومة "المجاهد" حين أوردت أن: "ثورتنا تتسم بالطابع الديني حقا" (جريدة المجاهد العدد 2 بتاريخ 15 نوفمبر 1957) وزادت التوضيح بالقول: "أن الجهاد معناه مكافحة الظلم ومدافعة الطغيان واسترجاع الأفراد والجماعات لما سلب منهم من حقوق، وهو فوق كل ذلك يمل معنى التصميم القوي على السير نحو الكمال في جميع الميادين.[42] وأكد ميثاق طرابلس كأهم مواثيق الثورة بالنظر إلى ظروف إعداده محورية المقدس ليس فحسب في العمل الثوري بل حتى بعد تحقيق الاستقلال إذ أشار إلى "إقامة دولة جزائرية في إطار المبادئ الإسلامية".[43]

2–**المجاهد:** لم تشر الثورة الجزائرية للمناضلين في صفوفها عند تحولهم للعمل العسكري الثوري بالمقاوم وإنما يتلبس ذلك المقاوم بالمقدس ليكون المجاهد والثوار: المجاهدين ، وتتجسد بذلك رمزية وقع المقدس في الفعل الثوري الذي مارسه جل الشعب الجزائري من المجاهد بزيه العسكري إلى المناضل السياسي إلى المكلف بالاتصال وجمع المؤن والتبرعات إلى النساء في البيت، فالمقدس أسهم بفاعلية ليس فحسب في الحفظ على البناء الهوياتي للجزائر بل وإعادة بناءه، وهذا ما يؤكده المجاهد "عمار بن عودة" بقوله: "ثم حددنا بعض الأهداف، فقلنا أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية، الإسلام هو الدين، الجهاد في سبيل الله، أي أن مناضل جبهة التحرير مجاهدا وليس جنديا".[44] فالمتخيل الاجتماعي في الجزائر لم يكن يواجه إشكالية من نحن كجماعة وكعلاقات بيوفردية؟ وماذا نريد؟ وما الذي نطمح في انجازه؟[45] فقد تكفل المقدس المماز للدين لكن أيضا الملاصق له في الثقافة الإسلامية إنطلاقا من كونه يعانق كل ما هو طاهر بذلك. فالإسلام عقلن المقدس السابق عليه ومحوره حول الله[46] يحين أحداث الزمن المقدس للمجاهدين الأوائل.

3–**الشهيد:** الشهيد سمي كذلك لقيامه بشهادة الحق قي سبيل الله وقد سبق وأن أشارنا إلى أن متلازمة المقدس والدنيوي تجعل من الثائر (المجاهد) الذي يموت في ساحة المعركة شهيدا يحتسب عند الله. إنه استحضار لشهداء معركة بدر. فالجهاد بالنفس هو قمة العطاء وأعلى مراتب الفداء والابتلاء ولا يتصدى له إلا كل مؤمن قوي الإيمان واثق بالله عز وجل لهذا اقتدى مجاهدوا الثورة التحريرية بأجدادهم الأوائل الفاتحين للأمصار المعليين لكلمة الإسلام، ونكتفي في هذا المقام بصورة الطقوس التي ترافق في الكثير من المناسبات استخراج رفات الشهداء/ المجاهدين وإعادة دفنها بصفة رسمية دليل على قدسية تضحياتهم.

ورغم أن الأنثروبولوجيون من أمثال "ر. جيرار" Ronie Girard في كتابه "العنف والمقدس" ربطوا بين التضحية والعنف في قراءة ثلاثية للعنف والتضحية والمقدس إنطلاقا من الطبيعة المتعارضة للتضحية والكامنة في كونها تظهر تارة كشيء مقدس جدا يشكل الامتناع عنه إهمالا خطيرا وتارة كنوع من الجريمة يشكل ارتكابه مجازفة كبيرة،[47] إلا أنه في حالة الفدائي/ المجاهد الجزائري شيء مقدس مبحوث عنه والمخاطر التي يقابلها الفدائي في القيام بالمهام التي أوكلتها له جبهة التحرير الوطني داخل المدينة، فهو يقدم نفسه ضحية بديلة ترمز للانتقال من العنف التبادلي المدمر إلى مرحلة البناء: بناء الدولة الوطنية.[48]

4–الخاوة: استحضرت الثورة التحريرية العصبية بالنظر إلى قداسة القرابة ليس فقط في المجتمع الجزائري بل وكل المجتمع العربي التي جعل منها العلامة "عبد الرحمان بن خلدون" محور الديناميكية الاجتماعية، لكن

استعمال لفظ "الخاوة" الذي يعني الأخوة لا يستحضر الروابط الديناميكية القائمة على رابطة الدم لكنه يعيد ابتكار الرابطة معنويا لتزيد اللحمة بين أعضاء جبهة التحرير الوطني وتزيد من تعاضدهم وتشيعهم للقضية الوطنية مصدقا لرؤية الخلدونية التي قالت بنعرة كل واحد على نسبه وعصبيته وأن الشفعة والنعرة على ذوي الأرحام والقربى موجود في طبائع البشر. كما نسجل أن لفظة الخاوة كانت تستعمل بين الأوساط الشعبية عند حديثهم عن المجاهدين بالدلالات عليهم بلفظ الخاوة حتى لا ينكشف أمرهم.

إن استحضار القرابة كبينية أساسية في الأرياف الجزائرية الذي كان يمثل غالبية النسيج الاجتماعي الجزائري وعاني كل ويلات البؤس الاجتماعي والاقتصادي وسياسات الأرض المحروقة الاستعمارية، يتعدى أبعاده الاجتماعية والاقتصادية إلى المجال السياسي والعمل الثوري وتتمظهر الوظيفة السياسية في التكافل الذي كان يطبع حياة الجزائريين والمعبر عنه بمصطلح القرابة التي ترقى إلى القدسية.[49]

5–الحركي: كان هذا المصطلح يطلق على كل شخص التحق إبان الثورة بصفوف الجيش الاستعماري بأي صورة من الصور فهو خائن من الدرجة القصوى. و"الحركي" لفظة شعبية جزائرية نسبة إلى الحركة بفتح الحاء المهملة وسكون الراء وجمعها "الحركة" التي كانت تطلق على الجزائريين الذين يحملون السلاح لمساعدة الاستعمار وتشديد الخناق على المجاهدين والفدائيين والمناضلين وكانوا يصحبون بل يقودون الجيش الفرنسي في غاراته على القرى والأرياف وكانت الثورة تحكم عليهم بالإعدام.[50] إن الخيانة انتهاك لحركية المقدس الإسلامي عند الجزائري إذ أن المستعمر كافر عنده والاصطفاف معه ليس فحسب عداءا للثورة بل هو خروج عن الدين والملة، لكون أرض الجزائر ديار إسلام لا يحل انتهاكها وهذا ما فعله الاستعمار، لذلك استحضرت الثورة الجزائر كمكان مقدس (الوطن) في مخيال الجزائري واستثمرت عقائديا في الدعوة للدفاع عنها تقربا للذات الإلهية، فالجزائر مقدسة بتجليات مقدسة والاصطفاف ضدها شبيه بالاصطفاف ضد الذات الإلهية.

6–الفدائي: كان يطلق هذا اللفظ على كل مجاهد ينشط داخل النسيج العمراني للمدن من خلال قيامه بعمليات ضد المصالح الاستعمارية فيها أو تطبيق عقوبة الإعدام على الحركى (الخونة)، ويسقط عليه ما سبق تناوله في باب الشهيد. إنه ببساطة رجل (أو امرأة) يفدي الوطن بنفسه، ويكمن الاختلاف بينه وبين المجاهد في كون هذا الأخير كان ينفذ العمليات العسكرية في جماعات ضد العدو بينما العمليات الفدائية كانت فردية يستعمل فيها المسدس كسلاح أو القنابل اليدوية في حالة الهجوم على منشآت

الاستعمار ويلجأ فيها الفدائي إلى اللباس المدني حتى يفوت على العدو التعرف عليه أو إلى التنكر مثلا في زي النساء. ويكفي أن نورد عن الأعمال الفدائية الخارقة للمجاهدين تنفيذ حكم الإعدام على الخائن "علي شكال" أمام رئيس الجمهورية الفرنسية "روني كوتيه" في باريس.[51] إن تقديم المجاهد لحياته تضحية في سبيل الوطن هبة رمزية مقدسة (رمز للمبادلة فموعد الشهيد/ الفدائي الجنة) تهدف إلى اتصال أكثر حميمية مع الله كما يقول "جورج جاسدورف" George Gusdorf.[52]

3-تمظهرات المقدس في الممارسات الثورية:

لم يتوقف أثر المقدس على الثورة التحريرية على استحضار المصطلحات ذات البعد الديني مثل الجهاد والشهادة والفداء والبعد المقدس لرابط القرابة بل أن الشعب الجزائري الذي احتضنها وعلى عادته مارس بنهم المقدس في عمله الثوري. حيث تلبست الممارسات السياسية به عن حق بغية تحقيق هدف مزدوج: إضفاء الشرعية على العمل الثوري واكتساب الزخم الجماهيري الذي يحشد من خلال المخيال الجماعي السائد في الثقافة الجزائرية عن المقدس الدعم اللازم لها لاستمرارها وتحقيق هدفها الأسمى، ناهيك عن الدعم الخارجي من الدول العربية والإسلامية. ويمكننا أن نورد بعض النماذج من تلبس العمل الثوري بالقدس من خلال النقاط الموجزة التالية:

-الله أكبر، مقدمة كل عمل ثوري: الله أكبر هي صفة لذات الله تعالى العلي العظيم وفي أسمائه سبحانه وتعالى: المتكبر والكبير أي العظيم ذو الكبرياء، فالله هو الاسم الأعظم والتكبير معناه التعظيم، والجزائري الذي نشأ وترعرع على سماع هذه الكلمة من والديه وأقاربه عند كل صلاة وأمام كل مصاب أو جلل وسمع المؤذن يرددها خمس مرات في اليوم ويرددها المسلمين في أعيادهم الدينية (الفطر والأضحى) جعل منها زاده الروحي عند بدئه كل معركة مع الاستعمار الغاشم وكان يؤمن بأنها تزلزل الأرض تحت أقدم العسكر وتوقع في أنفسهم الخوف والرهبة. لقد كانت شعار المجاهد ونشيده والذي لا عون له على قوة العدو إلا بالله الكبير.[53] ولما كان المقدس في الثقافة الجزائرية هو الطهارة والتنزيه فهو الله لهذا يرشح المجاهد هذا النداء ليرقى به إلى درجة التقديس وترتقي بذلك أفعاله الثورية إلى هذه الدرجة كما يقول "مارسيا إلياد" Mircea Eliad.[54] وعرف على المجاهدين حملهم للمصحف الشريف معهم لتمدهم قدسيته بمدد من الله مصداقا لقوله عز وجل: " **قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**".[55]

–التغني ببطولة المجاهدين: استثمرت الثورة التحريرية وهذا شرعي في بطولات مجاهديها من خلال تغني الشعب ببطولاتهم خصوصا وأن البطولة ميزة يرتفع بها الشخص عمن حوله من الناس العاديين فهو صاحب حق وصاحب رسالة واضحة: تحرير الجزائر من الاستعمار الغاشم، فالمجاهد شخصية ايجابية تعيش القضية وتؤمن بها حتى النخاع وتضحي بحياتها(الشهيد) من أجلها رغم تعقد الواقع وضبابيته وغطرسة وقوة الاستعمار. لذلك خلق الوجدان الشعبي الجزائري منه مثالا ونموذجا في الحياة.[56] وكان الشعر الشعبي القناة الناقلة لبطولات المجاهدين إذ تغنى القوالة[57] بمآثرهم ونقلوها كجزء من التراث الشعبي الذي لازم الحياة المجتمعية ولازم الثورة فكان مادة حية صادرة عن وجدان الشعب عبر بها عن مشاعره الرافضة للاستعمار التي تهفو للحرية والاستقلال. ونقل لنا إيمان المجاهد بالله الواحد القهار هو الذي دحر فرنسا وأنه شهيد في المعركة وإنما حي عند الله وأنه وعد المجاهد الذي يحارب في سبيل الله والوطن بالنصر الأكيد إذ يعانق عمله الثوري المعجزات. إذا رصد الشعر الشعبي زخم الأحداث التي عرفتها الثورة الجزائرية وكانت حكايات بطولات المجاهدين تسير بها الركبان ويتم تناقلها في الأسواق وتتجمع حول روايتها الحلقات وأخذ على عاتقه مهمة إعلام الشعب الجزائري بتلك البطولات.[58]

–الكرامات: يصور لنا اعتماد قادة الثورة على الحافز الديني والروحي أثر المقدس على الثورة التحريرية بغية الدفع على الجهاد والمقاومة والثبات وتمثل الكرامات الإلهية التي أيد الله بها مجاهدين صدقوا ما عاهدوا الله عليه خصوصا وأن معتقد (وهو مقدس) أهل السنة والجماعة إثبات الكرامة التي تعتبر عامل تمكين للمجاهدين الصابرين. والكرامة لغة، اسم لإكرام مثل: الطاعة للإطاعة، وهي من الكرم وهو ضد اللؤم، وورد في لسان العرب لابن منظور أن الكريم صفة من صفات الله وأسمائه. وإذ أكرم الله عز وجل عبدا من عباده بنعمة من النعم تعرف بالعطية أي تكريما من الله تعالى فهي كرامة.[59] وهي أمر خارق يجريه الله تعالى على يد ولي من أوليائه معونة له أو لغيره على أمر ديني أو دنيوي. فالكرامة امتداد مقدس لظاهرة الأولياء والصالحين في الجزائر المستحضرة في الفعل الثوري.

شكلت قدسية كرامات المجاهدين أحد عناصر شبكة حقيقية لقراءة الحاضر الجزائري كما قال "هـ. سانسون" Sonson. H إذ أنها أحد النماذج التي يقرأ بها ماضيه ومستقبله على حد سواء[60] وستزوده الشخصيات الدينية والأعمال الخارقة للمجاهدين في مواجهة الجيش الاستعماري يعدده وعتاده وسياساته بنماذج لقراءة حاضره، إنه تبلور للأفكار السياسية من خلال قدسية الفعل الثوري. ومن الكرامات التي

نقلتها الكتابات: سقوط طائرات ببنادق صيد، نزول الغيث وتفجر ينابيع ليشرب منها المجاهدين وتسخير الله للحيوان للمجاهدين وصدق فراستهم، رائحة المسك التي تفوح من أجساد الشهداء وعدم رؤية الجيش الفرنسي للمجاهدين حتى وهم بالقرب منه.[61]

–الصعود إلى الجبل، طقس العبور: نقصد بطقوس العبور تلك المراسيم الاجتماعية والعادات والتقاليد الشعبية المتبعة في مجتمع معين لانتقال أحد أفراده من حالة إلى حالة أخرى مثل: الولادة والختان والبلوغ والطقوس الجنائزية عند الوفاة أو الاحتفال كممارسة نمطية شعائرية ذات أبعاد دينية واجتماعية وسياسية وتبغي هذه الطقوس الفصل بين المقدس والدنيوي كتمثل للعبادة الايجابية، إن هذا النوع من الطقوس يحقق الثقة ويقوي الروابط ويركز الانفعالات وينظم ويفعل بعض السلوكات وترسي سلطة معينة من خلال وظيفة الاتصال والضبط.[62] وحتى إن ذهبت بعض الكتابات إلى اعتبار طقوس العبور الممارسة في الإسلام حملت رواسب مرحلة ما قبل الإسلام إلا أنها تنشط بمؤثرات وتؤدي وظائف،[63] يبقى أن الإنسان يسعى عن طريق هذه الطقوس للتقرب من العالم المقدس.

وفي حالة الثورة الجزائرية تمثل تكريس المقدس من خلال طقس العبور الذي يقام عند مرور جزائري بمرحلة هامة تتغير فيها وضعيته الاجتماعية[64] وبالتالي انتماءه السياسي، ويمكننا اعتبار القسم الذي يؤديه المرشح للالتحاق بالثورة والصعود إلى الجبال كشرط طقس عبور إذ يؤديه أمام المجاهدين ويده على المصحف الشريف ويقول: "أقسم بالله أن أكون وفيا للثورة المسلحة وألتزم بجد وإخلاص لوطني حتى النصر أو الشهادة"،[65] ونسجل هنا تكريس قادة الثورة للطقس من خلال مصطلحات: القسم باسم الله عز وعلى والشهادة وقيم الالتزام والإخلاص. ويشير الأستاذ "عبد المالك مرتاض" إلى أن الجبل رمز للاعتصام والمنعة كان يفر إليه القدامى من حاكم متسلط، ويمثل الجبل رمزا بناءا على ما ورد في النشيد الوطني "من جبالنا" إلى الحرية ويرمز للأحرار ناهيك عن كونه مهد الأصالة الشعبية حيث يقيم الفلاحون وسكان البادية الذين شكلوا وقودا للثورة.[66]

كما يمكننا أن نصنف في خانة طقوس العبور تكليف من يترشح للانضمام إلى الثورة والصعود إلى الجبال بالقيام بعملية فدائية وذلك للتأكد من وطنيته وأنه ليس عميلا لفرنسا يريد أن يندس في صفوف الثورة ويعرف أسرارها ومخططاتها وينقلها إلى العدو، ولكن أيضا للتعرف على إمكانياته العسكرية وقدرته على التكيف وتحمل المصاعب والمخاطر. وتبرز لنا صورة هتافات الله الأكبر المصحوبة بزغاريد النساء كطقس

جنائزي يعبر فيه من يسقط في ساحة المعركة ضد العدو المحتل من مرحلة المجاهد إلى مرحلة أسمى وهي مرحلة الشهيد.

–أسماء المجاهدين: يمثل الاسم منظومة اجتماعية وثقافية وعقائدية فدلائية الاسم في مجال التخاطب الاتصالي الاجتماعي الجماعي المحدد والمعروف تتم على حسب مرجعية عقائدية اجتماعية ثقافية تاريخية متواضع عليها مسبقا، وهذه الحركية للاسم وتفسيره لا يخرجان عن السياق والإطار المرجعي الذي وجد فيه وألهمه الحياة.[67] لذلك فإن التدين في الأسماء التي كانت تعطى للمجاهدين ينجذب إعجابا بالذات الإلهية وبركة الأولياء والصالحين وكأننا أمام تسارع للتقديس بفعل الابتعاد عن التدنيس.

ولعل الصورة الحية التي تنقل لنا أثر المقدس على الثورة وبعدها الديني الذي أعطاها الزخم الذي تميزت به هو اعتياد المجاهدين استعمال كلمة السر "خالد–عقبة" فهذان الاسمان يدلان على الانتماء الروحي للثورة والمجاهدين من خلال استحضار بركة خالد سيف الله المسلول المعروف بالشجاعة والإقدام والحنكة العسكرية وعقبة الشخصية التاريخية التي وطنت الدين الإسلامي في الجزائر. وتعود المجاهدين تسمية أنفسهم أو بعضهم بأسماء تستحضر الذات الألهية مثل "لخضر بن طوبال" الذي كان يسمى "سي عبد الله" أو تستحضر البركة مثل "بوسوف" الذي كان يدعى "سي مبروك"

والبعض غير اسمه مثل العقيد "بوخروبة" الذي اختار لنفسه التبرك بولي الله الصالح "سيد الهواري" في وهران وولي الله "سيدي بومدين" بتلمسان وأصبح اسمه "هواري بومدين". فالتعلق الكبير بعبادة الأجداد والإحياء المستمر للطقوس والتعلق الكبير بالمعتقد الديني والمعبر به حتى في الأسماء الثورية التي كان يحملها المجاهدون وسائل جماعية لمقاومة التسلط، إنها تعبير عن الحاجة الملحة للاتصال بالمقدس وحتى للاتحاد معه لحماية الذات من حالات القلق التي يسببها الاستعمار والتحلي بشجاعة أصحاب الأسماء الأصليين وبركاتهم.[68]

نكتفي بهذه النماذج مع أنه كان من الممكن تعقب التصاق الثورة التحريرية الجزائرية بالمقدس الذي وظفه قادتها في الحقل السياسي في نماذج كثيرة أخرى منها استخدام المجاهدين للوعدات والزردات التقليدية التي كانت تقام في الأرياف تبركا بالأولياء والصالحين في التعبئة العامة للثورة وفي نقل المعلومات العسكرية عن العدو وفي الاتصال وغيرها من الوظائف التي كان يؤديها مقدس المجتمع الجزائري لثورته. وكذلك تميز

الثورة الجزائرية عن الاستعمار الفرنسي في تعاملها مع الأسرى الفرنسيين تعامل إنساني وحضاري مستمد من التعاليم السمحة للشريعة الإسلامية.

خاتمة:

إن البحث في المقدس وعلاقته بالثورة كشكل من أشكال التغيير هو مغامرة علمية أنثروبولوجية انطلاقا من كونه بحث في الاختلافات الثقافية للمجتمعات وسياقاتها التاريخية حيث يعني المقدس الله، البركة، التنزيه، الطهارة. بينما تمثل الثورة أحد أساليب التغيير الذي يشمل كل البنى الأساسية للمجتمع وتتسم بالطابع الجذري والشمولي وتهدف إلى تبديل المجتمع ظاهريا وجوهريا والانتقال به من نمط سائد إلى نمط جديد أحسن.

وقد سمحت لنا المقاربة الأنثروبولوجية بمحاورة الرابط بين الوطنية وبين أشكال الانخراط الديني المجسد للمقدس، ونكتشف أن الزمان مقدس والمكان مقدس وهذا يعني من هذا المنظور أن الوطن ليس مكانا عادي دنيوي موجه للسكن والإقامة والعمل بل هو مكان مقدس في المخيال الديني للمجتمع الجزائري وأن الموت في سبيله إكراما وإجلالا بطاقة ولوج المقدس والتقرب من الذات الالاهية.

كما تأكد لدينا أن الصدمة الكولونيالية التي تعرض لها الشعب الجزائري وحاولت إجتثات بناءه وما ناله من بؤس اجتماعي كما تقول "جرمان تيون" Germaine Tillon لم تنل من هويته وثقافته رغم استماتة الاستعمار في الوصول إلى ذلك ونجم عنها صلابة انتماء ديني وروحي عبر عنها قبل الثورة التحريرية العلامة "ابن باديس" في قصيدته شعب الجزائر مسلم، وإلى العروبة ينتسب" امتد ممتزجا ومعتمد في نفس الوقت على المقدس وأثمر ثورة تحريرية في اندلعت في الفاتح من نوفمبر 1954 استحضرت المقدس في الفعل واللغة والممارسة والمبادئ، إذ سجلنا الدور المحوري للبعد الديني والتقاليد والأعراف كأساس للفعل الثوري المقاوم للاستعمار وقناة لحشد الدعم الشعبي لها والتفاف حول أهدافها. وهذا ما لمسناه من خلال الكشف عن رواسب المقاومة المقدسة ضد المستعمر والمتجذرة في المجتمع الجزائري وانفجار بركان تلك الرواسب خلال الثورة التحريرية التي رسمت زمان انبثاق المقدس حتى بعد الاستقلال وبناء الدولة الوطنية، ولا يزال زخمها في حاجة إلى دراسة وتمحيص. فالرابط بين المقدس والثورة كان وثيقا ومتينا إلى درجة أن الثورة التحريرية في حد ذاتها أصبحت ثورة مقدسة في وجدان الشعب الجزائري.

التهميش:

[1] ابن منظور. لسان العرب (بيروت: دار صادر، ج7،) ص 268

[2] إسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (ج 3، 1990) ص 960

[3] نور الدين الزاهي. المقدس الإسلامي (الدار البيضاء: دار طوبقال للنشر، 2005) ص 13

[4] Makarius,L, Lévi, Le sacré et la violation des interdits. Paris, éditions Payot, 1974, p 8

[5] روجيه كايوا. الإنسان والمقدس. ترجمة: سميرة ريشا (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2010) ص 31

[6] نور الدين الزاهي. المقدس والمجتمع (المغرب: أفريقيا الشرق، 2011) ص 32-33

[7] المرجع نفسه، ص 33

[8] François-André Isambert, L'élaboration de la notion du sacré dans l'école durkheimienne cas. In : Archives des sciences sociales des religions. N : 42. 1976. P 35 (35-56)

[9] Jean-Claude Schmitt, La notion de sacré et son application a l'histoire du christianisme médiéval, In : Les Cahiers du centre de recherches historiques (archives) n : 9-1992 https://doi.org/10.4000/ccrh.2798

[10] Chelhod Joseph, Les structures du sacré chez les Arabes, Paris, Maisonneuve et Larose, 1964, p 42

[11] الزاهي، المقدس والمجتمع، ص 35

[12] المرجع نفسه، ص 41

[13] محمد سعيدي. المقدس، مفهومه وتجلياته. مجلة الآداب واللغات جامعة تلمسان. المجلد 5 العدد الثاني. ديسمبر 2005. ص 14 (12-21)

[14] ابن منظور. لسان العرب. ج3 (بيروت: دار صادر. د.ت) ص 194

[15] الموسوعة السياسية متوفرة على الموقع الإلكتروني: 20الثورة/political-encyclopedia.org/dictionary شوهد في 03 جوان 2022

[16] حنة أرندت. في الثورة. ترجمة: عطا عبد الوهاب (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ط2008،1) ص58

[17] المرجع نفسه، ص 64

[18] شعبان الطهر الأسود. علم الاجتماع السياسي –قضايا العنف السياسي والثورة– (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2003) ص47

[19] عزمي بشارة. في الثورة والقابلية للثورة. (الدوحة: المركز العربي للأبحاث السياسية –سلسلة دراسات وأوراق بحثية–، 2011) ص21

[20] يوري كرازين. علم الثورة في النظرية الماركسية. ترجمة: سمير كرم (بيروت: دار الطليعة، 1975) ص 31

[21] Claude Rivière, Anthropologie politique, Paris, Armand Collin, 2000, p 156

[1] مصطلح "استغراب" استعمله الأستاذ "مالك بن نابي"، وارد في مؤلف ميلاد زكي، ميلاد، زكي. بن نابي ومشكلات الحضارة. دمشق: دار الفكر. 1998)، ص 51

[23] دبوز محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، الجزء الأول (الجزائر: وزارة الثقافة، 2007) ص19

[24] قانون الأحوال المدنية سنة 1865 الذي نص على أن الجزائريين رعايا فرنسيين لكن ليس لهم الحق في الجنسية الفرنسية إلا إذا تخلوا عن حالتهم الشخصية كمسلمين.راجع في هذا الصدد: أبو قاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978) ص75

[2] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثالث 1830-1954 (الجزائر: دار البصائر، à2007 ص 19

[26] سعيدي، ص 15

[27] سلاماني عبد القادر، بيعة الأمير عبد القادر حيثياتها ومرجعيتها القانونية والشرعية. مجلة الشهاب. المجلد 4. العدد 2. جوان 2018. ص ص 290-291

[28] العربي بلعزوز، مقاومة الشيخ بوزيان بالزعاطشة سنة 1849 على ضوء الكتابات الأجنبية. عصور الجديدة المجلد 8 العدد 1. ماي 2018 ص131

[29] إبراهيم مياسي، ثورة الزعاطشة. دراسات تاريخية مجلة الدراسات التاريخية مجلد 8 عدد 1. جانفي 2000 ص 90

[30] عمار بوحوش، التاريخ السياسي من البداية ولغاية 1962 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997) ص 146

[31] الحاج القدميري، مفهوم المقدس في الأديان السماوية والوضعية، المجلة العربية للنشر العلمي AJSP العدد 27. 2021 ص 579

[32] عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة 1881-1908 (الجزائر: المركز الوطني للدراسات التاريخية، ب.ت) ص49

[33] مها محمد فوزي معاذ، الأنثروبولوجيا اللغوية (مصر: دار المعرفة الجامعية، 2009) ص 12

[34] سيد رشاد قربي محمد، أثر الثقافات واللغات الأوروبية على اللغات الأفريقية "اللغة السواحيلية إنموذجا". مجلة دراسات أفريقية صادرة عن مركز الدراسات الأفريقية، مصر، العدد2. 2017. ص ص 24-25

[35] روجيه كايوا، الإنسان والمقدس، ترجمة: سميرة ريشا (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2010) ص 11

[36] سورة يوسف، الآية 2

[37] ابن منظور، الجزء 3، ص 134

[38] بلقاسم شتوان، البعد الديني للثورة الجزائرية من خلال المصطلحات الإسلامية: الله الأكبر-الجهاد-الفداء-الشهيد. مجلة المعيار العدد 4. 2003 ص 81

[39] سورة النساء، الآية 95

[40] كايوا، ص 32

[41] سورة آل عمران، الآية 169

[42] طاهري فاطمة، تجليات البعد الديني في بيان أول نوفمبر 1954 –قراءة في البيان– مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المسيلة. العدد 10. جوان 2016. ص69-71

[43] محمد حربي، جبهة التحرير الوطني: الأسطورة والواقع. ترجمة: كميل قيصر داغر (لبنان: مؤسسة الأبحاث العربية، 1983) ص 205

[44] لعرج جبران، البعد الإسلامي في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية. أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس. 2017. ص 289

[45] نور الدين الزاهي، المقدس والمجتمع، مرجع سابق الذكر، ص 16

[46] المرجع نفسه، ص 48

[47] المرجع نفسه، ص 105

[48] نقابل بين طقس عيد الأضحى الذي يستحضر مقدس تضحية سيدنا إبراهيم الخليل بابنه إسماعيل تقربا إلى الله وبين تقديم المجاهد/ الفدائي حياته ضحية وفداء تقربا إلى الله.

[49] هذا ما قد يفسر استمرار التوظيف السياسي لقدسية القرابة في المجتمع الجزائري حتى بعد الاستقلال وبناء الدولة الوطنية، وهذا ما برز في الحقل السياسي الجزائري أثناء الحراك الشعبي لفيفري 2019 ومثله شعار: "الجيش الشعب، خاوة خاوة" بإعتبار أن الجيش الوطني الشعبي سليل جيش التحرير ووريثه الشرعي.

[50]عبد المالك مرتاض، دليل مصطلحات ثورة التحرير الجزائرية 1954-1962. (الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954. 1979) ص 43

[51] مرتاض، ص 64

[52] كلود ريفيير، الأنثروبولوجيا-الاجتماعية للأديان. ترجمة: أسامة نبيل (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2015) ص 170

[53] شتوان، ص 78

[54] سعيدي، ص 14

[55] سورة البقرة، الآية 249

[56] عبد القادر خليفي، القول، المرأة والثورة التحريرية. في الجزائر قبل وبعد 1954. إنسانيات المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجية والعلوم الاجتماعية. مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية. العددان 25-26 جويلية-ديسمبر 2004. ص 9

[57] القوالة من القول وهم الحكواتية في الأسواق الشعبية والوعدات في الجزائر آنذاك.

[58] للاستفاضة يمكن الرجوع إلى: ريلي نصيرة، الثورة في الشعر الشعبي الجزائري. مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية. الصادرة عن المركز الديمقراطي العربي ألمانيا. العدد 4. جانفي 2019. ص 32

[59] الجباري عثماني، كرامات ربانية في كفاح الأمة الجزائرية خلال الثورة التحريرية –شهادات حية من مجاهدي وادي سوف. مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية. المجلد 2. العدد 1. ص147

[60] نور الدين طوالبي، الدين والطقوس والتغيرات (بيروت: منشورات عويدات، 1988) ص 89

[61] للمزيد من المعلومات حول كرامة المجاهدين والثورة يمكن الرجوع لعمل الباحث: جبران، ص ص 305-311

[62] بن معمر عبد الله، الأنثروبولوجيا والطقوس. مجلة الفكر المتوسطي للبحوث والدراسات في حوار الأديان والحضارات. المجلد 8. العدد 1. ماي 2019. ص 146-147

[63] عبد الرحيم بوهاها، طقوس العبور في الإسلام: دراسة في المصادر الفقهية (بيروت: دار الانتشار العربي، 2009) ص 230

[64] بيار بونت وميشال ايزار (وآخرون)، معجم الأثنولوجيا والأنثروبولوجيا. ترجمة: مصباح الصمد (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2009) ص353

[65] طاهري، ص75

[66] مرتاض، ص 26

[67] محمد سعيدي، "الاسم" دلالته ومرجعيته. مقاربة أنثروبولوجية. ورقة قدمت في أشغال الملتقى الدولي "أي مستقبل للأنثروبولوجيا في الجزائر 22-240نوفمبر 1999. إنسانيات. مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية. الجزائر. ص 132

[68] نور الدين طوالبي، مرجع سابق الذكر، ص 56-57